أبناء الملك أذينة

بقلم : هنري سيريغ

تعريب : عدنان البني

أولى الكتابات التي سيمر بها القاريء اكتُشفت خلال أعمال المديرية العامة للآثار والمتاحف في تدمر . وقد دعاني المدير العام الدكتور سليم عادل عبد الحق ومدير دائرة التنقيب السيد عدنان البني لنشرها في مجلة الحوليات فلهما حارّ الشكر على هذه البادرة الوديّة .

ونص هذه الكتابة منقوش باليونانية على حاملة تمثال « كونسول » عثر عليها في الرواق الجنوبي من الشارع الطويل ، على بعد بضعة أمتار من شرقي المسرح [1] وقد أعلمني السيد البني أن حاملة التمثال المذكورة تعود على الغالب لجدار الرواق لا إلى أعمدته إذ أن هـذه الأعمدة ما تزال قائمة بحاملاتها التي تختلف ، علاوة على ذلك ، من حيث قولبتها عن الحاملة التي نحن بصددها ، والتي تتألف من الأعلى إلى الأسفل من إطار يليه قولب كعبي ثم إطار فمقعّر ربع دائري ومحدّب ربع دائري ثم أخيراً قضيب . وقد نقشت السطور الثلاثة الأولى على الإطارين والمحدّب ، وبقية السطور على الوجه المسطح للحاملة وفي الشكل ١ [2] ننشر استنساخاً للكتابة نحن مدينون به للسيد البني .

---

(١) تماماً وراء العمود الرابع ، شرقي القوس الذي يشكل المدخل العرقي للطريق نصف الدائرية التي تحيط بالمسرح . انظر المخطط في المؤلف الألماني الكبير : ت ويغاند ، بالميرا (١٩٣٢) اللوح التاسع .

(٢) تراجع الأشكال وكذلك الهوامش والايضاحات في النص الأصلي الفرنسي المنشور في القسم الفرنسي من المجلة ، ص . ١٥٩ ـ ١٧٢ (المعرّب) .

إن النقص في السطر الأول ينطبق تماماً على اسم سبتيميوس المألوف في العائلة التي نشأ منها ملوك تدمر . والحرف الأخير في السطر الخامس هو « أو ميكرون » وظاهر أن من الواجب أن يكون مكانه حرف « إبسيلون » . ولا شك في أن مرد هذا الخطأ إلى محاكاة السطرين السابق واللاحق اللذين ينتهي كل منهما بـ YTO .

الترجمة : تمثال سبتيميوس حيران صاحب السمو ابن صاحب السمو أذينة (أقامته) وليمة الدباغين وصنّاع القُرب لسيدها ، عام ٥٦٩ (= ٢٥٧ – ٢٥٨ م) .

أما كتابتنا الثانية فكان الأب ستاركي قد قرأها في تدمر وقد تنازل لنا عن حقوقه بما عرف عنه من سماحه ، ونحن نشكره على ذلك التنازل كما نشكره على إعطائنا الصورة التي تظهر في الشكل ٢ . وهذه الكتابة منقوشة أيضاً على حاملة تمثال تعود كما يظهر لرواق المسرح على مسافة قريبة من الكتابة السابقة . وهي تختلف عنها من حيث قولبتها اختلافاً طفيفاً (هناك من الأعلى إلى الأسفل : إطار ، قولب كعبي ، إطار ، دوسين ، ثم محدّب ربع دائري) . السطران الأولان منقوشان على القولبة . وهناك سطران على الأقل مفقودان من آخر الكتابة .

وقد ترك النقّاش سهواً على الغالب نقش كلمـة huion في نهاية السطر الثاني حيث لا يعوزه المكان .

الترجمة : (تمثال) سبتيميوس حيران صاحب السمو (ابن) أذينة صاحب السمو القنصلي (أقامه) وورود عضو مجلس الشيوخ .....

يسهل التعرف إجمالاً على الشخص الذي كان هذان الإهداءان يرافقان تماثيله . فاسم أبيه أذينة حمله في السلالة التدمرية شخصان هما أذينة القديم الذي لم يتجاوز في سلم الرتب الرومانية رتبة عضو

مجلس الشيوخ وأذينة الصغير الذي حمل اللقب القنصلي . فالكتابتان تذكران إذن أذينة الصغير ملك تدمر المقبل . أما ابنه سبتيميوس حيران فلا مجال للخلط بينه وبين واحد من أولاد أذينة القديم يسمى كذلك سبتيميوس حيران ، وقد حمل في حينه لقب رأس التدمريين وهو إما والد أذينة الصغير أو بالأحرى أخوه البكر ، فهو بالتالي جد حيران الذي ورد اسمه في الكتابتين أو بالأحرى عمه .

أهدت التمثال الأول لحيران جمعية من شغيلة الجلود ، وقد أطلقت هذه الجمعية على نفسها اسم « وليمة » وهو اسم يمكن أن يتميز بين الأسماء المشابهة التي انتقتها جمعيات كانت الوليمة بالنسبة لها طريقة طبيعية للاجتماع . أما أعضاء الجمعية فهم دبّاغون وقد عرفت لهم نواد كثيرة في العالم القـديم وحرفيون تسموا بصنّاع القُرَب « الآسكنوت » وهذه الكلمة التي ما تزال مجهولة يبدو للوهلة الأولى أنها لا تدل على شيء مصنوع بل بالأحرى على فرد يبحر على قربة . إن تحول اسم العامل مجازاً إلى اسم آلة هو أمر غريب . ولكن عناصر هذه الكلمة لا يمكن أن تتضمن أبداً إلا فكرة القُرْبَة والملاحة فيبدو أننا في صدد مراكب أو بالأحرى أطواف محمولة على قُرب ، كما هو مألوف جداً في العالم القديم .

ونص الاهداء الذي نحن بصدده يتضمن ثاني ذكر في النصوص التدمرية لجمعية من الحرفيين . فقد أقامت في العام نفسه ، ٢٥٨ م نقابة الصاغة والمفضضين ، في الشارع الطويل أيضاً ، تمثالاً لأذينة ملك تدمر المقبل ووالد حيران .

من السهل جداً على المرء أن يتصور اهمية الدباغين في اقتصاد مدينة من مدن القوافل يعتمد فيها تجهيز حيوانات الركوب والحمل اعتماداً رئيسياً عليهم . ومن المحتمل جداً أن صنّاع القُرب الذين لا تذكرهم الكتابة كانوا معتبرين من الدباغين . ويكفي أن يستعرض المرء تعرفة المكوس التدمرية كي يرى أن تموين تدمر بالزيت والدهن (السمن) كانت تتم بواسطة هـذه الأوعية فحسب . ولا بد أن لها استعمالات شتى غيرها في الحياة اليومية .

أما الذين هم أكثر طرافة وفائدة لنا ـ إذا كنا قد وفقنا لتخمين مهنتهم ـ فهم صناع

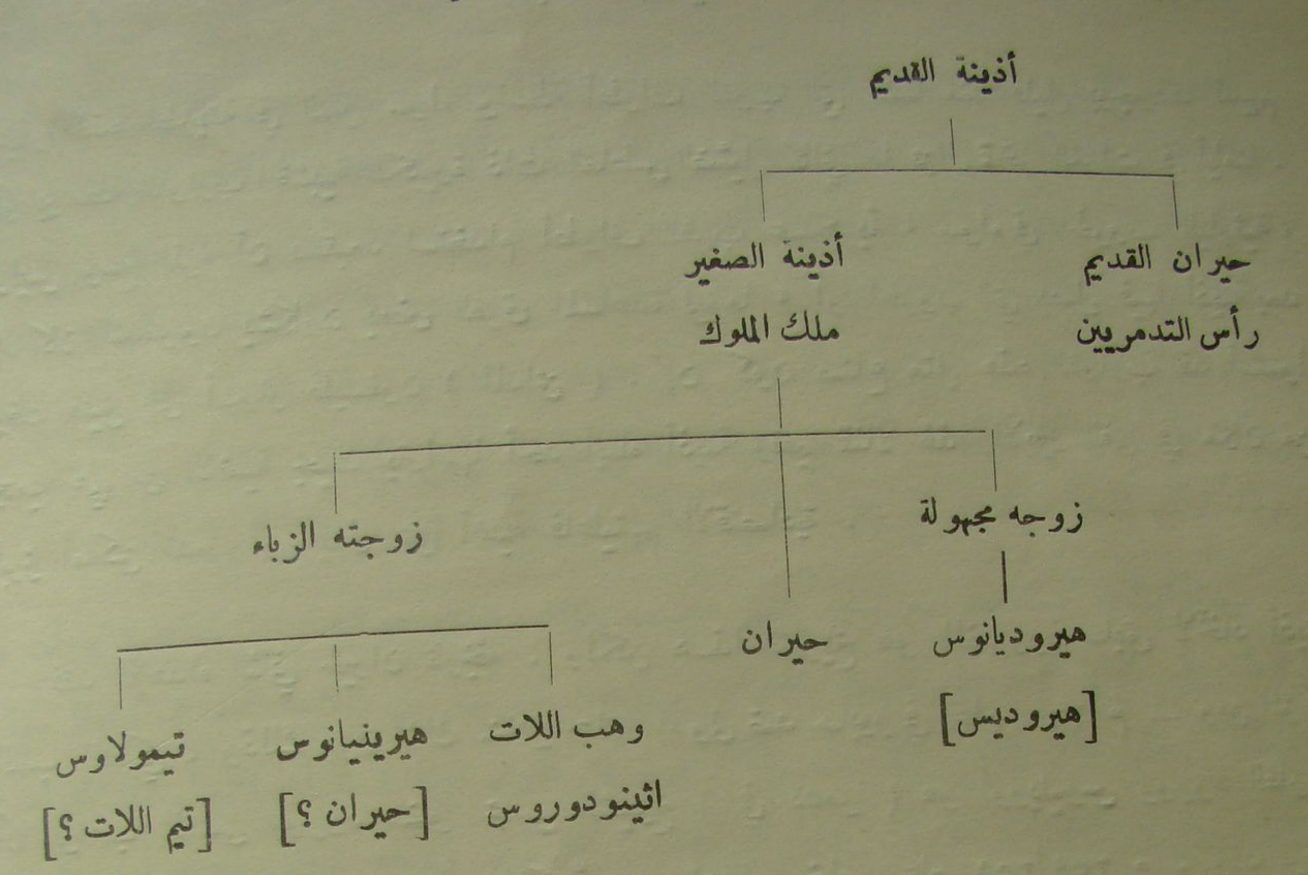
أطواف القرب . ولا يمكن أن يكون التدمريون استخدموا مثل هذه الزوارق الا في نهر الفرات حيث كانت لهم محطات دائمة . ولا بد أن أطواف القرب كانت مستعملة في نهري بلاد الرافدين منذ وقت عريق في القدم . ونرى إحداها محملة بمواد البناء ظاهرة على نقش بارز من عهد سنحريب (الشكل ٣) . ونرى بعضها ما يزال مستعملاً حتى أيامنا ويطلق عليه بالعربية اسم (الـكلك) (الشكل ٤) وقد يصل طوله إلى ١٠ م . أما القرب فقد يتراوح عددها بين ٥٠ و ٤٠٠ وأحياناً ٥٠٠ وهي ترتبط بإطار مرن مصنوع من قطع الخشب وحزم الخيزران . وقد ذكر أحد المؤلفين أن تلك القرب بحاجة « للنفخ مرتين في اليوم بواسطة قصبة » .

والكيالك تستخدم مع تيار النهر فحسب فإذا وصلت هدفها تباع أخشابها ، أما قربها فتعاد إلى مكانها محمّلة على ظهور الدواب . وهذا الضرب من الملاحة نجد له وصفاً حياً في رسالة أرسلها عام ١٨٣٨ المارشال المقبل مولتكه يقول فيها : « أما النزول إلى الفرات فغير متيسر إلا في أطواف القرب الجلدية التي تتلوى كالسمكة وتتخذ شكل الموج ، ويمكن أن تغوص في الماء موقتاً دون خشية الغرق . وارتطامها العنيف بالأرصفة الصخرية تحت الماء لا يمزق أكثر من قربة أو قربتين ... وقد صُنع طوف متين جداً بأربعين قربة في بالو مجهز بالمؤن وبأربعة جدّافين ، فأبحرتُ عليه في ١٩ تموز ..... وانهيت بعثتي في شميساط » . ـ وأطواف القرب تستطيع حمل أحمال ثقيلة . فقد روى أحد الكتاب أن طوفاً بخمسماية قربة قد يحمل ٢٠ طناً . وقد قدر مؤلف آخر أن دواب الحمل يمكن أن تتخذ مكاناً لها على الأطواف ولا تستعيد دورها إلا حين العودة ، وليس ذلك ببعيد الاحتمال . ومن ناحية ثانيـة لدينا كلمة « آسكو جيفيروس » التي تدل على جسر عائم محمول على قرب .

ولا شك في أن صلاحية الفرات للملاحة كانت محدودة بالفصول . فحين يبلغ منسوبه حده الأدنى (نهاية آب ثم تشرين الثاني) أو عند فيضانه الكبير (مايس) يصبح محفوفاً بالخطر الأكيد . ومع ذلك يبقى على الجملة طريقاً نهرية صالحة للإبحار بالقوارب الصغيرة كما تشهد حملات الاسكندر الكبير وسبتيم سيفير وجوليان ، وكما يرتأي ايسودور الخاركسي وكما تدل المحاولات الحديثة للملاحة بالبخار والمحركات . إذن من المحتمل جداً أن يكون التدمريون قد

لجأوا لهذه الطريقة في النقل سواء بواسطة أطواف القرب التي علمنا منذ قليل بوجودها لديهم أو بواسطة القوارب الخشبية الكبيرة ذات الغاطس الضئيل كالتي ما تزال تمخر الفرات في أيامنا. وليس بوسع المرء أن يستبعد استخدام أطواف القرب عسكرياً، سواء في الحروب البارثية، إذ كان التدمريون يشكلون بعض الفرق المساعدة لروما، أو الحروب التي يصل فيها أذينة بعد وقت قليل إلى أسوار طيسفون (المدائن) . إن كون صناع مثل هذه القوارب قد أسسوا جمعية هي من الأهمية بحيث يترأسها أحد أبناء أذينة وتقيم تمثالاً لهذا الأمير الفتى في مكان من أبرز أماكن تدمر أمر يدل على أهمية فاعليتهم الاقتصادية .

فقد الإهداء الثاني لحيران تاريخه . ولكن هذا التاريخ هو بالضرورة سابق لاتخاذ أذينة اللقب الملكي، وذلك دون شك خلال حملته الأولى ضد سابور في عام ٢٦٠ م — ومن المؤكد أن الواهب المسمى وورود عضو مجلس الشيوخ (في تدمر) هو أوريليوس وورود الفارس الروماني وعضو مجلس شيوخ تدمر المكرم في إهداء خاص عام ٢٥٩/٢٥٨ م . وقد برهن السيد شلومبرجه أن هذا الشخص هو نفس سبتيميوس وورود المذكور في ست كتابات بين ٢٦٢ و ٢٦٧ م . أما اسم سبتيميوس الذي هو لأسرة أذينة فقد يكون منحه له أذينة فاستعاض به عن أوريليوس . وفي النص الذي نعالجه لا نجد حتى اوريليوس أمام اسم وورود، فلعله مغترب في تدمر على أن سبتيميوس وورود، في كتاباته العديدة تجنب ذكر نسبه خلافاً للمألوف — وإن وورود وسبتيميوس وورود سواء في ذلك، الأمر الذي لا يدع مجالاً لدعم فكرة السيد شلومبرجه عن كونهما شخصاً واحداً — وهذه اللامبالاة بالتصريح عن النسب دفعتنا بحق للتفكير بأنه لم يكن تدمري المولد . وقد يكون سيداً بارثياً أو فارسياً لاجئاً في بلاط أذينة . ويحتمل أن تكون الكتابة التي نحن بصددها إذن سابقة زمنياً للكتابات الأخرى . وهي تقدم وورود لنا في وضع الذي ما يزال أجنبياً رغماً عن أنه كان قد أصبح شيخاً تدمرياً بإنعام محلي . وكي نحدد مكان حيران في أسرة أذينة يحسن أن نتفحص، بادىء ذي بدىء، ماذا تقول المصادر الموجزة أو المتنازع حولها عن إخوته . وقد آن الأوان، تسهيلاً للمناقشة، أن أقدم شجرة النسب التي يقودنا إليها بحثنا :



١ — هيروديانوس :

نعرف هذا الأمير من كتابة يونانية غير مؤرخة مصدرها تدمر ، تعطيه اسم سبتميوس الموروث في العائلة المالكة ، وكذلك لقب ملك الملوك ، وتشيد به لأنه « حمل إكليل الظفر على الفرس » . وقد دلل شلومبرحه على أن أذينة ملك الملوك نفسه قد أنعم دون شك بهذا اللقب على وريث عرشه ، كما كان الأمر لدي الساسانيين والپارثيين والساسيين في الهند . كان هيروديانوس إذن ولي العهد . والراجح أن الكتابة تعود لما بعد عام ٢٦٠ م وهو العام الذي يرد إليه ترجيحاً تأسيس الملكية في تدمر وأولى حملات أذينة على الفرس . ولكن قد تكون تكون الكتابة أحدث من ذلك . وهيروديانوس هو على الأغلب الأمير المولود من زواج أذينة الأول والذي يطلق عليه التاريخ الأوغستي اسم هيروديس . وهو بعد أن ساهم في هزيمة الفرس اغتيل مع أبيه عام ٢٦٧ م . ونحن نعرف صورته التي تمثل رجلاً فتيا جاوز الطفولة ، في بطاقة رصاصية (الشكل ٥) في متحف دمشق عثر عليها في إنطاكية .

٢ ـــ وهب اللات :

إن وهب اللات المعروف باليونانية باسم أثينودورس مدين باشتهاره تقريباً لنقوده العديدة التي شغلت بال تجار العاديات منذ زمن غير قريب ، ثم مؤخراً للكتابات وأوراق البردي التي ذكرت اسمه . أما المؤرخون القدامى فقد جهلوه والتاريخ الأوغستي يسكت عنه تماماً ـ إذ أن السطور التي أتت على ذكر وهب اللات في حياة اورلثان إنما هي شرح متأخر ولكنه جيد المعلومات . وما عدا ذلك النص لا يمكننا أن نورد إلا ذكراً واحداً لوهب اللات لدى المؤرخ بوليموس سيلڤيوس وهذا الأمر وحده ـ على حين أن كثيراً من المؤلفين أتوا على ذكر أذينة والزباء ـ يدفع إلى التفكير بأن وهب اللات لم يكن له في التاريخ إلا دوراً من أتفه الأدوار . وليس في صورته المنقوشة على نقوده المضروبة في إنطاكية إلا ملامح اتفاقية كانت تجعل في القرن الثالث لكثير من الأمراء اليافعين . ولكن صورته على نقوده التي أصدرت في الإسكندرية أعطتها يد أكثر مهارة ، قبل حوالي سنتين من كارثة ٢٧٢ م ، ملامح طفل في العاشرة له شعر أجعد (الشكل ٦) . خلف وهب اللات أباه عام ٢٦٧ م تحت وصاية الزباء . ولكن مصيره بعد عام ٢٧٢ م مجهول ، ويبدو أنه لم يكن حاضراً في احتفال الظفر الذي أقامه أورلثان ، فلعله مات قبل وصوله إلى روما مع أمه .

٣ ـــ هيرينيانوس وتيمولاوس :

هناك مقاطع عديدة في التاريخ الأوغستي تتعلق بابني الزباء هذين . وقد أبدت الزباء غيرتها من هيروديس بسببهما . وقد تكون الزباء عند موت أذينة استلمت السلطة باسميهما ، وقد يكونان مثّلا إلى جانبها في موكب ظفر اورلثان . وقد كان مصيرهما النهائي موضع جدل في الروايات القديمة ، فمن قائل أن أولثان قد أزالهما من الوجود ، وقائل بأنهما لاقيا حتفهما بصورة طبيعية ويذكر أنه كان ما يزال في الطبقة النبيلة في روما بعض ذرية الزباء . ومع ذلك فهناك مقطع آخر ، وهو لا شك شرح متأخر للنص ، يصحح إحدى هذه المزاعم . ويعلن طبقاً للرأي السائد الآن أن « الزباء قامت بأعباء الملك باسم وهب اللات وليس باسم هيرينيانوس أوتيمولاوس » .

وليس هناك ما يدعونا للتفكير بأن التاريخ الأوغستي ، وهو أحسن المعلومات عن هيروديس - هيروديانوس ، قد اخترع مسألة وجود هيرينيانوس وتيمولاوس . إن السكوت في ذلك التاريخ عن وهب اللات ، والمكان الذي أعطي فيه للأميرين الصغيرين اللذين يحتمل أنهما خلفا ذرية في روما ، قد يدل على أن المصدر الذي استقي منه هو مصدر روماني إلمامه ضعيف بأحداث الشرق . ويبدو أن اسم هيرينيانوس لا يعدو كونه صيغة رومانية لاسم حيران التدمري . أما اسم تيمولاوس الذي هو أندر وأبعد عن المألوف فيجعلنا نفكر باسم تيم اللات . إذ أن هذا الاسم كثير الانتشار في تدمر . وهذه التحشيات تنسجم تماماً مع المأثورات التدمرية . ولا يتسنى إلا لكاتب محترس إدخالها في التاريخ الاوغستي . والأحسن بنا الظن أنها بقيت في مأثورات الطبقة الرفيعة بروما ، بينما على العكس انمحى ذكر وهب اللات الملك العديم الأهمية . وإن رواية غيرة الملكة وكذلك رواية الأميرين الصغيرين المجرّرين في موكب ظفر أورلنان استطاعت أن توائم أذواق مؤلفي هذا التاريخ ؛ دون أن تستحق بالضرورة إهمالنا لها من أجل ذلك .

٤ — حيران :

لم يعرف سبتيميوس حيران إلا في النصّين اللذين ننشرهما . وقد ورد اسمه فيهما باليونانية هيرانيس ولم يترجم إلى هيروديس كما هي الحال بالنسبة لحيران آخر . ومع ذلك هل نستشهد بهذا الترادف لنحاول أن نجعل من حيران الذي نحن بصدده ولي العهد هيروديس المذكور في التاريخ الأوغستي والذي يبدو لنا اسمه نقلاً مهملاً لاسم هيروديانوس ؟ إننا لا نميل إلى ذلك في الوقت الحاضر . وفيما يتعلق بتشكيل أسماء الأعلام فإن التاريخ الأوغستي لا يعول عليه كثيراً وإننا نعطي الأفضلية لعلم الكتابات . وحتى ظهور نص جلي ، وهو أمر محتمل دوماً ، فإننا نشك كذلك في أن الكتابتين الموضوعتين على مقربة من بعضهما في فترتين متقاربتين من الزمن تعطيان لأمير واحد اسم هيرانيس واسم هيروديانوس حيناً آخر .

وبالمقابل فقد ذكرنا كم كان من المحتمل الظن بأن هيرنيانوس في التاريخ الأوغستي يدعى

حيران بالتدمرية . ولكن في مثل هذه الحالة يكون حيران هو غير الذي ندرسه . إذ أن العقبة هذه المرة تنشأ من عمر الأميرين . فقد رأينا منذ لأي أن وهب اللات في صوره المنقوشة على النقود الاسكندرية المسكوكة عام ٢٧٠ م كانت له ملامح طفل في العاشرة . وإذا قبلنا جدلاً أن هناك خطأً في التقدير فإن من الواضح أن الزباء كانت تحكم وصية في عام ٢٧٢ م وإذا افترضنا أن وهب اللات كان له آنئذ من العمر ١٦ عاماً تكون ولادته في أبعد تقدير، عام ٢٥٦ م . وفي عام ٢٥٨ م في أبعد الاحتمالات يكون قد ولد هيرينيانوس أخوه الذي تلاه ولم يتولى الحكم . وبالتالي لايكون الدباغون قد أهدوا التمثال له .

وبالاختصار ، ومهما بقيت هذه المسائل غامضة ، إذا اعتبر أن حيران بن أذنية المذكور في الكتابتين كان على الغالب حديث الولادة عندما أهداه الدباغون في عام ٢٥٧ / ٢٥٨ م تمثالاً باعتباره سيدهم فانه يبدو أكثر احتمالاً أن نرى في هـذا الأمير كهيروديانوس ثمرة زواج أذنية بامرأة قبل الزباء . إذ أن الزباء لم يكن أولادها الثلاثة الذين نعرفهم قد ولدوا بعد في عام ٢٥٧ م . ويكون حيران أخاً بكراً أو ثانياً لهيروديانوس مات قبل أبيه أذينة وأخيه هيروديانوس أو معهما في وقت واحد .

٥ — البطاقة الفخارية العائدة لوهب اللات وحيران :

ولنذكر أيضاً وجود بطاقة فخارية تدمرية تحمل على كل من وجهيهـا صورتي كاهنين مستلقيين على سرير في وليمة ، وقد نقش على أحد الوجهين اسم وهب اللات بالآرامية وذلك تحت السرير ، وعلى الوجه الآخر في المكان نفسه اسم حيران (الشكل ٧) . وفي الحقل العلوي في كل من الوجهين نجد اسم أذينة . وهذه الأسماء الثلاثة هي من الأسماء التقليدية في العائلة المالكة . وقد افترضت سابقاً أن اسمي وهب اللات وحيران المنقوشين تحت الصورة هما اسما صاحبي الوليمة بينما أن اسم أذينة الموجود على الوجهين في الزاوية هو اسم والد الاثنين . وهذه البطاقة التي صنعت منها أعداد كبيرة بدلالة العثور على كثير منها ، هي من الفئات المتأخرة العهد . واثنتان منها وجدتا مع بطاقات أخرى من الفئة نفسها في مجرور صالة الولائم

في معبد بل ، حيث ألقيت مع آخر البطاقات في السنوات التي سبقت كارثة تدمر عام ٢٧٢ م ، فالعهد إذن موافق تماماً . ولا يمكن الشك أبداً في احتمال كون هذه البطاقات استخدمت لحضور وقعة أو وليمة أقامها ولدا أذينة بمناسبة قبولهما في سلك كهنوتي . ولنتساءل أي حيران تقدم لنا هذه البطاقة . أهو المذكور في الكتابتين موضوع بحثنا أو هو هيرينيانوس ؟ إن الترجيح في صالح هيرينيانوس الذي كان في عمر مقارب لعمر وهب اللات ، الأمر الذي قد يبرر وليمة اشتركا في اقامتها .

وقد يدهش المرء أن يحمل أخوان الاسم نفسه . إن حيران الوارد ذكره في كتابتينا هو الأخ البكر لوهب اللات ومع ذلك لم يحكم والسبب أنه كان ميتاً عند ولاية العرش . ومن المحتمل جداً أن اسمه قد أعيد لدى ولادة أمير جديد قد يكون هو المذكور على البطاقة والذي يسميه التاريخ الأوغستي هيرينيانوس .

عدنان البني